ندوة الدراسات الإبراخيلية ، قالمة ، الجزائر
التـاريـــخ : 28 و29 أكتـــوبـر 2015
المنجـــي الأســـود ، أستـــاذ مساعـــد
المعهد العالي للغات المطبقة بالمكنين
جـــامعـة الـمنـستيـر ، تـــونـــس

الأرضية الإبراخيلية في الخطاب المقدّس

القراءات القرآنية أنموذجا

تمهيد:

إذا كانت المباحث الإبراخيلية تهتمّ بالأشكال القصيرة للكتابة وفق تعريف منصور مهنّى فإنّ جانبا من هذه الأشكال قد كانت من اللبنات الأولى التي تأسّس عليها الخطاب المقدّس في الحضارة العربية والإسلامية ونقصد بذلك الخط العربي في أولى أهمّ لحظات انتقال الثقافة العربيّة من ثقافة المشافهة إلى حضارة الكتابة حين أمر الخليفة الثالث عثمان بن عفان (ت. 35 هـ) بتدوين النص القرآني في المصحف الإمام، هذا النص المقدّس الذي توالدت منه القراءات توالدا لم يعارضه الرسول (ت. 11 هـ) ، وبوفاته بقيت تلك القراءات تتوالد إلى أن حاصرها المسلمون بتدوين المصحف الإمام الذي يعدّ الخطّ المكتوب به الأرضية الأولى التي ستولد في رحمها الأشكال القصيرة الأولى للخطاب بوجهيه النظري والعملي. أمّا الوجه النظري فنقصد به حديث الأحرف السبعة ، وأمّا الوجه العملي فيتمثل في الإدخالات التي أضيفت إلى الخط العربي بعد لحظته التأسيسية الأولى وما طرأ عن ذلك من توظيف سياسي وعقدي وتشريعي للنص الديني وسنعرض لذلك من خلال أمثلة. ولكن قبل ذلك سنحاول أن نضع مقدمة تعريفية نبيّن فيها أمرين:

I . محاولة للتحديد المصطلحي: الخطاب الإبراخيلي والخطّ العربي:

يتعلّق الأمر الأوّل بالخطاب الإبراخيلي بما **هو نوع من الحذف أو الإضمار أو الإيجاز في خطاب ما يؤدي إلى تعمّد فقدان جزء من النص أو التضحية به في سبيل تقوية العبارة في سياق نصّي ما** ، وعلى هذا الأساس فإنّ في الخط العربي ما يفي بهذا التعريف ، بل يضيف إليه ، لأنّه يحافظ بادئ ذي بدء على سمتين أساسيتين هما من لوازم الخطاب الإبراخيلي فيما نزعم :

- سمة القصر المتناهي
- سمة إضافة المعنى

فهو إذن خطاب قريب جدّا من الحقل البلاغي التقليدي ولكنّه يتجاوزه عبر إمكانية تحديد الجزء المحذوف دون أن يكون ذلك خاضعا إلى أيّ أسلوب بلاغي من الأساليب التقليدية.

II . الخط العربي سنة 32 هـ:

ولتأكيد هذا المفهوم من جهة وتوضيح أنّ له أرضية صلبة في الحضارة العربية تتمثل في خصوصية الخط العربي تجدر الإشارة إلى أنّ الخط الذي كتب به المصحف الإمام سنة 32 للهجرة كان يحتوي على 15 رمزا فقط رسمت بها الأبجدية العربية المعروفة باستثناء حرف الهمزة الذي ولد رسمه متأخرا عن بقية الحروف. وهذه الرسوم أو الرموز هي:

الرسم	الحروف المرسومة به	الرسم	الحروف المرسومة به	الرسم	الحروف المرسومة به
ب	ب . ت . ث . ن	ص	ص . ض	ل	ل
ح	ج . ح . خ	ط	ط . ظ	م	م
د	د . ذ	ع	ع . غ	ى	ي
ر	ر . ز	ف	ف . ق	ه	هـ
س	س . ش	ك	ك	و	و

أما الهمز فقد أضاف رسمه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت.170 هـ) فاستنبطه من حرف العين لأنّهما يتقاربان في المخرج لذلك رسم الهمزة بالاعتماد على رسم الجزء الفوقي من حرف العين. بالإضافة إلى التحسينات الأخرى المدخلة على هذا الخط بداية من النّصف الثاني من القرن الأول للهجرة إلى أن استقرّ في شكله النهائي مع نهاية القرن الرابع للهجرة خطابا قابلا للحذف والزيادة والتأويل ، وتكمن أهمّ تلك التحسينات في عناصر أربعة هي نقط الإعراب ونقط الإعجام وزيادة الألفات (مفردها ألف) وزيادة الهمز.

يمكن القول إذن إنّ الرسوم القليلة التي رُسمت الحروفُ العربية بها تؤهّل الخط العربيّ منذ البداية الفعلية للتدوين أن يكون خطابا مختزلا قابلا للتمدد والانتشار ، وبالخصوص في ظل الإمكانات التي يوفرها الرّسم من حيث التشابه فيه والإعراب وغياب الهمز والألِفات في كثير من الألفاظ في المصحف الإمام. فهل يمكن القول إنّ في الخطّ العربي سمة الخطاب الإبراخيلي إذا جرّدناه من تلك التحسينات بغرض تكثيف المعنى عبر خلق إمكانات عديدة في نطق الكلمة الواحدة ؟ أليس في هذه الخاصية ما يجعل الخطاب الإبراخيلي متجذّرا في الحضارة العربية ؟ ذلك ما يمكن أن نجلّي مدى وجاهته في ما يلي انطلاقا من الخطاب الذي كان الحاضنة الأولى لما نحن بصدد الحديث عنه. ونقصد بذلك النص القرآني المدوّن في المصحف الإمام.

III . مظاهر الخطاب الإبراخيلي في الخطاب المقدّس: القراءات القرآنية أنموذجا:

رأينا أن نهتمّ في هذا الصّدد بجانبين نراهما من صميم الدراسة الإبراخيلية التي تروم البحث عن أرض خصبة لها في الحضارة العربية : جانب التنظير للكثرة انطلاقا من الخطاب متناهي القصر . وهو الذي يجلّيه حديث الأحرف السبعة ، وجانب الممارسة أي توليد خطابات كثيرة من خطاب مختزل في ممارسة فعل القراءة للنص القرآني انطلاقا من المصحف الإمام.

1. حديث الأحرف السبعة:

بقطع النظر عن مدى صحة هذا الحديث من عدمها فإنّ احتواءه على الرقم سبعة (7) يفي بالغرض في دلالته الرمزية وقدرته على إشاعة المعنى سواء تعلّق بدلالاته في الحضارة العربية والإسلامية أو في الحضارات الأخرى التي كان للعرب اتصال بها قبل ظهور الإسلام وبعده. ونختصر القول في هذا الصّدد لنسرد أهم تلك الدلالات ومنها أنّ الرقم سبعة (7) يرمز :

أ . في النص القرآني وتفسيره :

يشير الخطاب القرآني إلى السماوات السبع والأراضين السبع، وفي قصة النبيّ يوسف يذكر السنابل السبع و البقرات السبع والسنوات العجاف السبع . كما يصف جهنم بأبوابها السبعة، ويذكر الأبحر السبعة التي تنفد لو كان ما تحويه من الماء مدادا في مقابل بقاء كلام الله الذي لا ينفد . وفي سورة الكهف 18 أيضا يذكر قصة أهل الكهف فيصل تحديد عددهم إلى سبعة. ويرى المفسرون أيضا أنّ الرحمان استوى على العرش في اليوم السابع بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام. وهو الذي أنزل السبع المثاني التي يفسرونها على أنها سورة الفاتحة. ولا عجب أن يسمّي المسلمون هذه السورة أمّ القرآن ويقسّمونها إلى سبع آيات. وهو التقسيم الذي استقرّ في الذاكرة بالرّغم من وجود ثلاثة تقسيمات أخرى رأى أصحابها أنّ عدد آيات الفاتحة خمس (5) وفي رأي آخر ست (6) ، وفي رأي ثالث ثمان (8). وهي آراء لم تعرها الذاكرة الجماعية الاهتمام الذي حظي به التقسيم الأول بفعل سحرية الرقم سبعة (7).

ب . في الحديث النبوي:

أمّا بالنسبة إلى الحديث النبوي فقد كان الرقم سبعة (7) حاضرا بكثافة ، ومن أمثلة ذلك : السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه . والسّجود الذي لا يستقيم إلا إذا تمّ على سبعة أعضاء. ومنها أيضا أنّ غسل الجسم كاملا يوم من سبعة أيام واجب على كل مسلم. وغسل الإناء سبع مرات إذا ولغ الكلب فيه ، وتكرار بعض الأدعية سبع مرات للرّقية وجلب الشفاء أو محاولة استبعاد المكروه المحتمل وقوعه ، ويشير الحديث أيضا إلى أن المسلم له مَعْيٌ واحدٌ وأنّ للكافر سبعة أمعاء. ولا يجب أن ننسى الطواف بالكعبة

سبعا والسعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط . وتشير بعض الأحاديث إلى أنّ ابن الزنا لا يدخل نسله الجنة إلى أن يصل إلى سبعة أبناء .

ولعل أشهر الأحاديث على الإطلاق في هذا الصدد حديث الأحرف السبعة. وتكمن أهمية هذا الحديث في غموض دلالة الرقم سبعة (7) فيه. إذ وجد المهتمون بتفسيره حرجا كبيرا في تحديد الأحرف السبعة: أهي لهجات أم لغات أم غير ذلك؟ وهل يراد به الحصر والتقييد أم التعميم؟ ومهما يكن من أمر فإنّ الخطاب الأنسب في تفسير هذا الحديث هو الخطاب الإبراخيلي على اعتبار أنّ الرقم سبعة (7) هو رقم سحري يختزل الكثرة ويدل على اللامتناهي . ومن معانيه الطهارة والنقاوة والعذرية والكمال والاكتمال. ومن أهمّ مظاهر سحريته على مستوى الواقع تعلّق المسلمين بالقراءات السبع وبالقرّاء السبعة الذين حدّدهم ابن مجاهد (ت.324 هـ) في مؤلفه الذي وسمه بعنوان كتاب ***السبعة في القراءات*** وهو الكتاب الذي فاقت شهرته شهرة الكتب الأخرى المؤلّفة في هذا الصدد. [1]

ت . في الديانات الأخرى :

يكفي أن نذكر أن للرقم سبعة (7) حضورا مكثفا في التراث الديني في اليهودية والمسيحية . فبالإضافة إلى ما اشتركتا فيه مع النص القرآني من الدلالات التي ذكرنا بعضا منها، فإنّه يمكن أن نشير أيضا إلى : أنّ يوسف في التراث اليهودي قد لبث في السجن سبع سنين . ويذكر أيضا أنّ الوليمة التي أقامها النبي سليمان في احتفالاته دامت سبعة أيام ، وأنّ حداد شعب إسرائيل دام سبعة أيام. ويعتقد اليهود أنّ لهم سبعة آباء هم : إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون ويوسف وداود.

ويذكر التراث المسيحي أنّ للمسيح أدعية سبعة يردّدها في الصّلاة التي يتوجه بها إلى الآب. كما يشير أيضا إلى أنّ له أقوالا سبعة في الاعتقاد ، وأنّ المسيح وهو يسير في طريق الاعتقاد كان قد سقط سبع مرّات، ويذكر إنجيل برنابا أنّ إبراهيم بدأ رحلة البحث عن ربّه حين بلغ من العمر سبع سنوات .

2. مظاهر الخطاب الإبراخيلي في القراءات القرآنية:

افترضنا في هذا السياق أن نهتمّ بالتحسينات المدخلة على الخط العربي سابقة الذكر وأن نبني هذا الاهتمام على الفرضيات الممكنة في تغيير الوحدات الدنيا التي يتكوّن منها المقطع أو الحرف أو الحركة ، وقد بحثنا في أمّهات الكتب عن أمثلة تنطبق عليها تلك الفرضيات ، وهذه الفرضيات نجملها في الجدول التالي مع أمثلة لها:

---

[1] . تجدر الإشارة إلى أنا لم نعد إلى كل كتب الحديث واقتصرنا فقط على الكتب التسعة ، أي ***موطأ مالك*** و ***مسند أحمد*** و ***صحيح البخاري*** و ***صحيح مسلم*** و***سنن*** أبي داود و ***سنن الترمذي*** و ***سنن النسائي*** و ***سنن البيهقي*** و **سنن ابن ماجه**.

المجال	الوحدة الدنيا	الفرضيات الممكنة	المثال
1 . الصوائت	أ) الكسرة	تنقلب إلى تنوين	شَـرِّ ← شَـرٌّ
		تنقلب إلى ضمة	الظَالِمِين ← الظَالِمُونَ
		تنقلب إلى فتحة	الحَقِّ ← الحَقُّ
	ب) الضمة	تنقلب إلى تنوين	جَامِعُ ← جَامِعٌ
		تنقلب إلى كسرة	المَجِيدُ ← المَجِيدِ
		تنقلب إلى فتحة	يَتُوبُ ← يَتُوبَ
	ت) الفتحة	تنقلب إلى تنوين	حِينَ ← حينًا
		تنقلب إلى ضمة	أُدْخِلَ ← أُدْخِلُ
		تنقلب إلى كسرة	عمَـــلٌ ← عمِلَ وَأَرْجُلَكُمْ ← وَأَرْجُلِكُمْ
2 . الصوامت	التنقيط	بالحذف	أشاءُ ← أساءَ
		بالزيادة	أوريكم ← أورثكم
3 . الهمز	الهمز	بالزيادة	أمّـة ← أئمة يهد ← يهدأ
		بالحذف	أضاءت ← ضاءت
4 . الألف		بالزيادة	خلّفوا ← خالفوا
		بالحذف	وَاعَدْنَا ← وَاعَدْنَا

أ . الصوائت:

الصوائت في العربية ثلاثة : الفتحة والضمة والكسرة وهي التي تكوّن إذا أضيفت إلى صامت مقطعا أو حرفا قابلا للتصويت أو وحدة صوتية عديمة المعنى. وبتآلفها في وحدة معجمية ما ضمن سياق نصيّ ما تتولّد الدلالة ويشيع المعنى. وتلك هي سمة الخطاب الإبراخيلي . ومن أمثلة ذلك:

- **حركة الكسرة تضاف إليها كسرة ثانية**

أي إنّ المقطع المنفتح القصير يتحول إلى مقطع منغلق قصير ، ويوافق هذه الفـرضية لفظ شَرِّ في الآية الثانية من سـورة الفلق 113﴿ **مِن شَرِّ مَا خَلَقَ** ﴾ حسب رواية حفص (ت. 180 هـ) عن عاصم (ت. 127 هـ) [2] ، فقد قرأها عمرو بن عبيد (ت. 143 هـ) ذو التوجه الاعتزالي « **مِن شَرٌّ مَا خَلَقَ** » إذ بعد أن كانت « **ما** » موصولا اسميا تكوّن مع ما قبلها مركبا بالإضافة وتعني الشرّ الذي خلقه الله وفق القراءة الرّسمية أصبحت « **ما** » النافية لفعل خلق الشر عن الله تنزيها له عن ظلم العباد. لكنّ هذه القراءة

[2] . نعتمد على قراءة حفص عن عاصم لأنها اليوم القراءة الأكثر انتشارا في العالم العربي والاسلامي.

المنزّهة للذات الإلهية لا يعترف بها العديد من أهل السنّة ومن أمثلة معارضتها موقف مكي بن أبي طالب القيسي (ت.437هـ) الذي ذهب إلى أنّ القراء المشهورين وغيرهم من أهل الشذوذ قد أجمعوا على:" **إضافة شرّ إلى ما خلق وذلك يدلّ على خلقه للشّرّ، وقد فارق عمرو بن عبيد رئيس المعتزلة جماعة المسلمين**" [3]. وهو تقريبا نفس الموقف الّذي أعلنه الشّوكاني (ت. 1250هـ) في تفسيره **فتح القدير** [4] بينما اعتبر أحمد بن منير الاسكندري (ت. 683 هـ) أنّ **بعض القدرية عمدوا إلى تحريف هذه الآية بقراءتهم تلك، لاسترضاء مذهبهم الفاسد ومعتقدهم الذي يقضي بأنّ الله لا يخلق أفعال الحيوانات وإنّما هم يخلقونها لأنّها شرّ، والله لا يخلقه لقبحه** [5].

غير أنّ الألوسي (ت. 1270 هـ) يجد للقراءة المخالفة مخرجا تأويليا يتجاوز به مبدأ الرفض الذي واجهها به سابقوه ، إذ يقول :" **وأنت تعلم أنّ القراءة بالرّواية، ولا يتعيّن في هذه القراءة هذا التوجيه، بل يجوز أن تكون" ما " بدلا من شرّ على تقدير محذوف قد حذف لدلالة ما قبله عليه أي من شرّ ما خلق من شرّ غاسق تخصيص لبعض الشّرور**" [6].

- **حركة الكسرة تنقلب إلى ضمة**

وهي ما يظهر في لفظ الظالمين الوارد في الآية 31 من سورة الإنسان 76. فقد ورد في رواية حفص ﴿ **وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾، بينما قرأها ابن الزبير(ت. 73 هـ) وغيره « **والظالمون** » برفع الميم بدل الخفض [7]. والمسألة هنا لغوية تطرح كيفية تشكيل بنية الجملة حسب تصور القارئ للحدود النحوية للكلام : أهو جملة مختزلة كما في القراءة الأولى لذلك عدّت الجملة فعلية والفعل هو العنصر المحذوف فيها وقد أضمره فكأنه قال **ويعذب الظالمين**، ولما أورد مضمرا فسّره بقوله : أعد لهم عذابا أليما . أما القراءة الثانية فرأى القارئون بها أنّ في الآية جملتين مكتملتي العناصر الإسنادية والعلاقة بينهما عطفية لا إضمار لذلك وردت الجملة الثانية اسمية مبتدؤها الظالمون وخبرها مركبا إسناديا فعليا.

---

[3]. مكي بن أبي طالب، ***مشكل إعراب القرآن***، ج 2 ، ص 615.

[4]. يقول الشوكاني:" **وقد حرف بعض المتعصبين هذه الآية مدافعة عن مذهبه وتقويما لباطله فقرؤوا بتنوين شر على أنّ " ما " نافية والمعنى من شر لم يخلقه ومنهم عمرو بن عبيد وعمرو بن فائد** ". ***فتح القدير***، ج5 ، ص 520.

[5]. الزّمخشري، ***تفسير الكشاف***، ج 4 ، ص 815، هامش رقم 2 .

[6]. الألوسي، ***روح المعاني*** ، ج 30 ، ص 281.

[7]. ابن خالويه، **مختصر في شواذ القرآن** ، ص 167.

- **حركة الكسرة تنقلب إلى فتحة:**

قرأ حفص عن عاصم لفظ الحقِّ بالكسر في الآية 62 من سورة الأنعام ﴿ **ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الحَقِّ** ﴾ وفي الآية 44 من سورة الكهف﴿ **هُنَالِكَ الوَلاَيَةُ للهِ الحَقِّ** ﴾ على أساس أنّ الحق صفة عائدة على الله في كلا الآيتين. غير أنّ من يعتقد بأنّ الله منزّه عن صفات المخلوقين إذ ليس كمثله شيء قرأ اللفظ في كلا الموضعين بنصب القاف. وقد قرأ بذلك كل من الحسن البصري (ت. 110 هـ) وقتادة (ت. 118 هـ) في الآية الأولى، وكذا قرأ عمرو بن عبيد الآية الثانية . وقراءة النصب تنسف مقولة الصفات التي لا تعتقد بها المعتزلة.

- **حركة الضمة تضاف إليها ضمة ثانية:**

ويعضد هذه الفرضية ما ورد في الآية 9 من سورة آل عمران ﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ** ﴾ إذ تضمنت المركّبَ بالإضافة « جامعُ الناسِ » والمضاف ورد بضم ميم جامع وكسر سين الناس. وهي قراءة حفص عن عاصم. وهي في المعنى أقرب إلى صفة مسندة إلى الله ، وهو ما ابتعد عنه الحسن البصري [8] وغيره من القرّاء لزحزحة المعنى من إسناد صفة الجمع إلى الله إلى معنى وقوع فعل الجمع في المستقبل، يقول أبو حيان (ت. 745 هـ) في تفسير البحر المحيط : **فهو اسم فاعل بمعنى الاستقبال ، ويدل على أنه مستقبل قراءة أبي حاتم** (ت. 250 هـ) : **جامعٌ الناسَ ، بالتنوين، ونصب الناس** . [9]

- **حركة الضمة تنقلب إلى كسرة :**

يظهر ذلك في لفظ « **المجيدُ** » التي وردت نعتا للمنعوت « **ذُو الْعَرْشِ** » في الآية 15 من سورة البروج ﴿ **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ** ﴾ ، فقد قرأ الحسن وعمرو بن عبيد بخفض لفظ « **المجيدِ** » صفة للعرش لا صفة لذي العرش مثلما هو الحال بالنّسبة إلى رواية حفص التي تثبت صفة المجيد للذات الإلهية. وهو الأمر ذاته الذي سبق ذكره في مثال سابق.

- **حركة الضمة تنقلب إلى فتحة :**

ويناسب ذلك قراءة عمرو بن عبيد للآية 15 من سورة التوبة9 « **ويَتُوبَ** » بالنصب بدل الرّفع في رواية حفص، وتوجيه هذه القراءة أنّ تحقق فعل التّوبة أصبح مقترنا بتحقّق فعل ذهاب الغيظ، لا أن يكون

---

[8] . ابن خالويه، ***مختصر في شواذ القرآن*** ، ص 26.

[9] . أبو حيان الأندلسي، ***تفسير البحر المحيط*** ، ج3 ، ص 33.

الفعل مطلقا على الابتداء في قراءة الرّفع ممّا يعني أنّ المسلم هو المسؤول عن توبته بما هي فعل نابع من الذات الإنسانية لا من الذات الإلهية. وعلى هذا الأساس تتجلى مقولة التخيير في اختيار أفعاله ، وهو الأمر الذي ينجر عنه تحقق العدالة الإلهية في الآخرة بما أنّ الحساب سيكون من جنس العمل الذي قام به الانسان في الدنيا. ولكنّ هذا التمشي الاعتزالي يتعارض ومقولة المشيئة الإلهية التي يقول بها الأشاعرة وهي المقولة المتحققة بقراءة حفص إذ أنّ توبة العبد تبقى منوطة بمشيئة الله لا بمشيئته هو وباختياره.

وهو المبدأ ذاته الذي دلّت عليه قراءة عمرو بن عبيد للآية 118 من سورة التوبة 9 ﴿ **وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ** ﴾ المتعلّقة بالصحابة الثلاثة الذين لم يخرجوا إلى غزوة تبوك مع الرسول. ففعل « **خُلِّفُوا** » المسند إلى المجهول وفق قراءة حفص عن عاصم يشير إلى أنّ الصحابة المتخلّفين عن الغزو لم يفعلوا ذلك بمحض إرادتهم، بينما يبيّن فعل « **خَلَفُوا** » الّذي أسند إليهم أنّهم:" **خَلَفُوا الغازين بالمدينة**" [10] ما بوّأهم لأنْ يكونوا مختارين لهذا الفعل، ومن ثمّة فهم مسؤولون عن عواقب هذا الاختيار، شأنهم شأن المنافقين الّذين رَضُوا ﴿ **بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ** ﴾ التوبة83/9 [11].

- **حركة الفتحة تضاف إليها فتحة ثانية:**

ورد في الآية 17 من سورة الروم 30 .﴿ **فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ** ﴾ لفظ حين منصوبا على أنّه ظرف مبني في قراءة حفص. غير أنّ عكرمة (ت. 104 ه) قرأ حينا بفتحتين أي: **حينا تمسون وحينا تصبحون " والمعنى: حينا تمسون فيه وحينا تصبحون فيه، فحذف " فيه " تخفيفا،** [12] وهي القراءة التي لم يجزها أبو حاتم السجستاني لأنّ فيها حصرا وحدّا من العبادة بالاعتبار في صنع الله في زمن دون آخر. [13].

- **حركة الفتحة تنقلب إلى ضمة :**

تضمّنت الآية 23 من سورة إبراهيم 14 ﴿ **وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُواْ...**﴾ جملة فعلية فعلها مبني للمجهول في قراءة حفص، لكنّ الحسن وعمرو بن عبيد قرآ « **وَأُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُواْ** » بإسناد الفعل إلى المتكلّم / الله الذي سيتكفّل هو ذاته بإدخال الذين آمنوا الجنة بلا واسطة ، ليكون الجزاء من جنس العمل لا أن تتكفّل الملائكة بإدخال المؤمنين بعد إذن ربّها [14].

---

[10]. أبو حيان، ***تفسير البحر المحيط*** ، ج 5 ، ص 119.

[11]. ابن خالويه، ***مختصر في شواذ القرآن***، ص60 .

[12]. القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، ج14 ، ص15.

[13]. الأشموني ، ***منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد***، ص599.

[14]. يمكن العودة إلى : ***تفسير الكشاف***، ج2 ، ص 531. أبو حيان، ***تفسير البحر المحيط***، ج6 ، ص 430.

- **حركة الفتحة تنقلب كسرة :**

اللفظ عمَل الوارد في الآية ﴿ **قَالَ يَا نُوحُ إِنّه لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنّه عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ** ﴾ هود46/11 والذي قرأه حفص بفتح الميم على أنّه مصدر يقرأه الحسن البصري « **إِنّه عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ** » بكسر الميم فعلا ماضيا مسندا إلى ابن نوح المذكور في الآية على أساس أنّه لم يؤمن بدعوة أبيه فكان من المغرقين جزاءً من جنس عمله بالرّغم من توسّلات أبيه الّتي لم تفلح. والجدير بالذكر أنّ هذه القراءة هي قراءة النبي أيضا [15]، وهي أيضا قراءة تجد رواجا لها عند المعتزلة الذين يعتبرون ذلك تحقيقا لمبدأ العدالة الإلهية بقطع النظر عن مدى قرابة الإنسان للأنبياء والأولياء والصالحين، إذ في ذلك رفض غير مباشر للاعتقاد المنتشر في أوساط المسلمين بالقول بالشفاعة .

ولعلّ الأهم من هذه القراءة قراءة أخرى تمس طقسا تعبدّيا يتمثل في كيفية الوضوء استعدادا للصلاة. يظهر ذلك في لفظ وأرجلكم الوارد في الآية ﴿ **فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** ﴾ المائدة6/5 . فقراءة حفص عن عاصم بنصب اللام تقتضي غسل الرجلين عطفا على الوجوه والأيدي. لكنّ العديد من القرّاء الآخرين قرؤوا « أرجلِكم » بكسر اللام عطفا على الرؤوس لذلك كسرت اللام لعمل حرف الجر الذي سبقها فيها [16]. وهو ما يقتضي مسح الرجلين بدل غسلهما، وقد تعلّق الشيعة بهذه القراءة تعلّقا أريد منه مخالفة القول المشهور عند أهل السنة بوجوب الغسل.

ب . التنقيط:

النقط أو التنقيط نوعان نقط إعراب وهو ما سبق عرضه في الأمثلة السابقة ، ونقط إعجام ويقصد به تمييز الحروف لتشابهها بعضها من بعض لذلك يمكن تقسيم الحروف في العربية إلى نوعين : حروف مهملة وحروف معجمة ، ويعني الإهمال خلو الحرف من أي نقط، والإعجام هو عكس ذلك، فالحروف المهملة هي : أ ، ح ، د ، ر ، س ، ص ، ط، ع ، ك ، ل ، م ، هـ ، و . أما الحروف المعجمة فهي: ب ، ت ، ث ، ج ، خ ، ذ ، ز ، ش ، ض ، ظ ، غ ، ف ، ق ، ن ، ي. وفي هذا السياق فنحن بصدد الحديث عن جزء من الصامت أضيف إليه لتمييزه عمّا يشبهه من الصوامت الأخرى ، فالنقط إذن هو شكل خطابي متناهي الصغر يتميّز به الخط العربي وبإضافته للصامت أو حذفه عنه تنفتح أبواب المعنى ويسيل التأويل أنهارا.

---

[15] . أبو داود، ***السنن***، ج4، ص33 .ويذهب المفسرون لإثبات تنزيه النبي نوح إلى أنّ هذا الابن ليس من صلبه بل هو ابن زوجته.

[16] . ابن مجاهد، ***كتاب السبعة في القراءات***، ص242.

- **النقط بالحذف: شـــــ ـ ســـــ : أشاءُ ـ أساءَ :**

هذا الفعل تضمنته الآية 156 من سورة الأعراف7 ﴿ **قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ**﴾ و هو يدل على أنّ لله مشيئة إلهية مطلقة هي المتحكمة في مصائر البشر وخاصة في ما يتعلق بإنزال العذاب ، لا فرق بين المؤمن والكافر أو بين المحسن والمسيء أمام المشيئة الإلهية. غير أنّ الحسن البصري وعمرو بن فائد (ت. بعد 200 هـ) قد قرآ (**قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَسَاءَ**) من الإساءة المسندة إلى المسيء المستحق عذاب الله طبقا لمبدأ تحقق العدالة الإلهية.

ولم يستطع المعترضون على هذه القراءة رفضها بما أنها موافقة لخط المصحف الإمام إلاّ باتّهام من قرأ بها بأنّه صاحب بدعة ومن أهل الزيغ، وأنّه يضيّق الدّين على خلق الله [17]، وما حمله على ذلك إلا شحّه على الدّين حسب تعبير الثعالبي (ت.875 هـ)[18] وتكمن الصّعوبة في ردّ هذه القراءة في اعتبارها موافقة للرّسم العثماني، فجعل حرف الشين سينا لا يغيّر من الأمر شيئا بما أنّ النقط كان متأخرا عن كتابة المصحف.

- **النقط بالزيادة : يـ ـــــ ثـــــ : أوريكم . أورثكم**

من الأمثلة الدالة على النقط بالزيادة الفعل « سأوريكم » الوارد في الآية 145 من سورة الأعراف7 ﴿ **سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ** ﴾. وهو لفظ كتب بالرسم العثماني الذي لا يتوافق في بعض أشكاله مع الرسم الإملائي الذي نكتب به اليوم. فلا ضرورة لوجود الواو بعد الهمزة . وهذا الرسم جعلها متوافقة مع قراءة ابن عباس (ت. 68 هـ) وقسامة بن زهير (ت. بعد 80 هـ): **سأورثكم**، [19] من التوريث لا من الرؤية. فإضافة إعجام التنقيط إلى الثاء المثلثة المعجمة غيّر المعنى من الدلالة على أن تكون دار الفاسقين وهي خاوية على عروشها عبرة لمن يعتبر إلى الدلالة على أن تصير تلك الدار ميراثا ربّانيا لبني إسرائيل.

ت . الهمز:

- **القراءة بإضافة همزة : أمّـــة ـــ أئـمّـة**

هو أيضا من الإضافات المتأخرة لتدوين المصحف الإمام لذلك تم استغلاله لرواية قراءات تخضع لنفس المبدأ الذي خضع له تنقيط الإعجام : ومن الأمثلة الواردة في هذا الشأن نذكر بالخصوص قراءات الشيعة للفظ أمّة بإضافة الهمزة قبل الميم لتصبح أئمة . ومن أمثلة ذلك :

---

[17] . ابن عطية، ***المحرّر الوجيز***، ج2، ص461.

[18] . الثعالبي ، ***الجواهر الحسان في تفسير القرآن*** ، ج2 ، ص 57.

[19] . ابن خالويه، ***مختصر في شواذ القرآن***، ص 51.

القراءة برواية حفص	القراءة الشيعية
﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ** ﴾ آل عمران 110/3	وأبو بصير عنه قال: أنزلت هذه الآية على محمد (ص) فيه وفي الأوصياء خاصة، فقال« **كنتم خير أئمة أخرجت للناس** »[20]
﴿ ... **أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ** ... ﴾ النحل16/91 . 92	« **أن تكون أئمة هي أزكى من أئمتكم** »[21]

وقد نهجت المعتزلة على منوال الشيعة في زيادة الهمز لبعض الألفاظ الأخرى. فقد أوردت بعض التفاسير أنّ عِكْرِمَة وَعَمْرُو بْن دِينَارٍ (ت. 126 هـ) وَمَالِكا بْن دِينَارٍ (ت. 127 هـ) قرؤوا « **يَهْدَأْ** » بِهَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ « **قَلْبُهُ** » بِالرَّفْعِ [22] من الهدوء بدل قراءة حفص عن عاصم ﴿ **وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾ التغابن11/64 من الهداية . والفرق جليّ بين القراءتين : فهدوء القلب هو نتيجة منطقية لاختيار الإيمان بالله ، والاختيار يعني مسؤولية الإنسان التامة عن أفعاله. فالإيمان مسؤولية تقتضي من المؤمن الحقّ أن لا يجزع وقت المصيبة. أمّا قراءة حفص فتعني أنّ :" **قَوْلُهُ تَعَالَى: يَهْدِ قَلْبَهُ أَيْ عِنْدِ الْمُصِيبَةِ أَوْ عِنْدَ الْمَوْتِ. أَوِ الْمَرَضِ أَوِ الْفَقْرِ أَوِ الْقَحْطِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنَ اللَّه تَعَالَى فَيُسَلِّمُ لِقَضَاءِ اللَّه تَعَالَى وَيَسْتَرْجِعُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: يَهْدِ قَلْبَهُ أَيْ لِلتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّه** " [23]

- **القراءة بحذف الهمزة : أضاءت ـ ضاءت**

ورد هذا الفعل في الآية 17 من سورة البقرة ، قرأه حفص عن عاصم بالهمز على وزن أفعل. وقرأه ابن أبي عبلة (ت. 151 هـ) على وزن فعل بدون همز . وكلا القراءتين تطرحان مسألة لغوية لخصها الزمخشري (ت. 538 هـ) حين قالها في معرض تفسيره للآية :" **الإضاءة: فرط الإنارة. ومصداق ذلك قوله: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً) ، وهي في الآية متعدية. ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى ما حوله. والتأنيث للحمل على المعنى لأنّ ما حول المستوقد أماكن وأشياء. ويعضده قراءة ابن أبى عبلة (ضاءت) . وفيه وجه آخر، وهو أن يستتر في الفعل ضمير النار. ويجعل إشراق ضوء النار حوله بمنزلة إشراق النار نفسها، على أنّ ما مزيدة أو موصولة في معنى الأمكنة** " [24]

---

[20] . العياشي، ***تفسير العياشي***، ج1، ص195.

[21] . نفسه، ج2، ص268.

[22] . أبو حيان الأندلسي ، ***البحر المحيط في التفسير*** ، ج 10 ، ص 191.

[23] . الرازي ، ***مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير*** ، ج30 ، ص555.

[24] . الزمخشري ، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*** ، ج 1، ص 73.

ث . الألف:

الألفات من الإضافات المدخلة على المصحف الإمام بعد تدوين القرآن . لذلك كثرت القراءات التي يكون الفرق فيها ألفا بين لفظين أو أكثر. والأمثلة على ذلك عديدة منها ﴿ **مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ الفاتحة 4/1 و ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ومنها ﴾ ومنها ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ البقرة2/ 9 ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ .

فلفظ ملك في سورة الفاتحة 1 قرئ مالك ، ولفظ يخادعون الأول في سورة البقرة2 قرئ يخدعون وقرئ لفظ يخدعون الثاني يخادعون وقرئا معا بالألف وقرئا معا بغير ألف. وبالرغم من أنّ المعنى يبدو مختلفا بين فعلي خدع وخادع ولكنه لا يساهم في تغييره تغييرا جوهريا .

- **القراءة بإضافة الألف : خُلِّفُوا ــ خَالَفُوا**

لكنّ بعض الأمثلة تقدّم لنا قراءة مخالفة لقراءة حفص تقلب المعنى وتنسفه لتؤسس معنى جديدا. يظهر ذلك في لفظ **خُلِّفُوا في الآية 118 من سورة التوبة 9** ﴿ **وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ** ﴾ **الفعل المبني للمجهول المنصرف مع ضمير الجمع الغائب حسب قراءة حفص عن عاصم. لكنّ الشيعة يضيفون ألفا بعد الخاء ويبنونه للمعلوم** « **خَالَفُوا** » وهم يقصدون بذلك: أبا بكر (ت. ه) وعمر (ت. ه) وعثمان ، والمخالفة هنا يقصد بها مخالفة الخليفتين السنيين لعلي بن أبي طالب. وفي القراءة تلميح إلى اغتصابهم الخلافة منه. وهو أمر لا يتناسب مع ما قرره أهل السنة من أسباب النزول. وقراءة الشيعة المذكورة نسبها ابن خالويه (ت. ه) إلى عليّ (ت. ه) وجعفر الصادق(ت. ه) والسلمي (ت. ه) [25] ، وقد جاء في تفسير العياشي (ت. ه):"**عن فيض بن المختار** (ت. ه) **قال: قال أبو عبد الله: كيف تقرأ هذه الآية في التوبة83/9 ؟ قال: قلت خلفوا قال: لو خلفوا لكانوا في حال طاعة، وزاد الحسين بن المختار** (ت. ه) **عنه: لو كانوا خلفوا ما كان عليهم من سبيل، ولكنهم خالفوا: عثمان وصاحباه**". [26]

- **القراءة بحذف الألف : واعدنا ــ وعدنا**

قرأ حفص عن عاصم الفعل « **واعدنا** » بألف بعد الواو في الآية 51 من سورة البقرة ﴿ **وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً** ﴾ من المواعدة ، فدلالة الفعل على وزن فاعل تعني المشاركة في الفعل ، وهي

---

[25] . ابن خالويه، ***مختصر في شواذ القرآن***، ص60.

[26] . العياشي، ***تفسير العياشي***، ج2، ص115.

القراءة تؤدي إلى أنّ الذات الإلهية وموسى يشتركان في نفس الفعل ، وهذا محال بالنسبة إلى المعتقدين بالتنزيه، لذلك نقف على قراءة مخالفة تنسب إلى أهل البصرة وغيرهم من القرّاء، ومضمونها « **وعدنا** » من الوعد ، وهو فعل ثلاثي يتطلب فاعلا واحدا ينجزه لا شريك له فيه وهو الذات الإلهية في هذه القراءة. [27]

خاتمة:

يتّضح مما تقدّم أنّ الخطاب الذي عرضنا له في هذا المقال هو خطاب حمّال ألوان فتارة يتلوّن بلون الدرس النحوي القديم، وطورا يظهر درسا لسانيا ضمن ما بات يعرف باللسانيات البنيوية التفكيكية، غير أنّ الأجمل في هذا الخطاب هو ترافق لونين لا يجتمعان إلا في النصوص الخصبة التي تبقى معطاءة على الدّوام هما لونا العقيدة وعلم الكلام ، وتكمن جمالية هذا الخطاب في فتح الباب على مصراعيه في التأويل القائم على البرهان الخطي المستمد من النص المقدّس. فليست الحركات إلا تجسيدا لخطابا متناهي القصر حمّل من المعاني ما حملته العديد من المجلدات. ألا يجوز لنا عندئذ أن نؤسس للدراسة الإبراخيلية في الثقافة العربية عودا على بدء. لنعود إلى زمن البدايات، فإذا كانت البداية إبراخيلية بامتياز ألا يحق لنا أن نعمّق البحث في مظاهر إبراخيلية أخرى في نصوصنا القديمة شعرا ونثرا في مختلف تمظهراتها العقدية؟ والفنية والتشريعية وغيرها من التمظهرات ؟

[27] . الطبرسي، ***مجمع البيان في تفسير القرآن***، ج1 ، ص137.

قائمة المراجع العربية والأجنبية

- ابن أنس، مالك (ت.179ه)، ***الموطأ***، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، د.ت.
- ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله الشيباني (ت.241ه)، ***مسند أحمد***، ط مؤسسة قرطبة، د.ت
- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمان أبو محمد (ت. 255 ه)، ***السنن***، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 ه.
- البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (ت.256ه)، **الجامع الصحيح**، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير . اليمامة، بيروت، 1987.
- مسلم بن الحجاج (ت.261ه)، ***صحيح مسلم***، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، د.ت
- ابن ماجه محمد بن يزيد أبو عبد الله (ت. 275 ه)، ***السنن***، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت. 275 ه .) ، ***سنن أبي داود*** ، تحقيق شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، ط1، دار الرسالة العالمية، 1430 ه – 2009 م
- الترمذي محمد بن عيسى(ت. 279 ه)، ***سنن الترمذي***، تحقيق محمود محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- النسائي، أحمد بن شعيب (ت.303ه)، ***السنن***، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1986.
- العياشي، محمد بن مسعود بن عياش(ت.320ه)، ***كتاب التفسير***، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، د.ت.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد أبو عبد الله(ت.370ه)، ***مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع***، تحقيق آرثر جيفري، مصر، مكتبة المتنبي، د.ت.
- القيسي، مكي بن أبي طالب أبو محمد(ت.437ه)، ***مشكل إعراب القرآن***، تحقيق حاتم صالح الضامن ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1405ه.
- القرطبي، محمد بن أحمد أبو عبد الله الأنصاري(ت.446ه)، ***الجامع لأحكام القرآن***، بيروت . لبنان، دار إحياء التراث العربي، 1985.
- الزمخشري، محمود بن عمر(ت.538ه)، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل***، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1، مكتبة العبيكة، الرياض، 1998.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي(ت.542ه)، ***المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993.
- الطبرسي، الفضل بن الحسن أبو علي(ت.552ه)، ***مجمع البيان في تفسير القرآن***، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء، ط1، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت . لبنان، 1995.

- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت. 745هـ) ***البحر المحيط في التفسير***، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت ، 1420هـ.
- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد (ت.845هـ)، ***الجواهر الحسان في تفسير القرآن*** ، تحقيق علي أحمد معوض وآخرون، ط1، بيروت . لبنان، دار إحياء التراث العربي . مؤسسة التاريخ العربي، 1997.
- أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي (ت. نحو 1100هـ) ، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، تحقيق شريف أبو العلا العدوي ، ط1 ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1422 هـ - 2002 م
- الشوكاني محمد بن علي بن محمد (ت.1250هـ)، ***فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير***، بيروت، دار الفكر، د.ت.
- الألوسي، محمود(ت. 1270هـ)، ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

Steve Desrosiers, **Les Nombres Symbolisme et Propriétés**, Achevé d'imprimer en septembre 2001 à Québec.